

المدرسة الاستراتيجية

مقدمة عامة عن المدرسة الاستراتيجية

1. التعريف

المدرسة الاستراتيجية في العلاج النفسي هي اتجاه علاجي وظيفي يركز على التغيير السريع والمباشر في سلوك الأسرة أو أحد أفرادها من خلال استراتيجيات تدخل محددة ومدروسة يخطّطها المعالج مسبقاً.

2. الخلفية التاريخية

ظهرت المدرسة الاستراتيجية في ستينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة، وتطوّرت من أعمال رواد العلاج النفسي الأوائل في مدرسة بالو ألتو (Palo Alto Group)، وهم:

المساهمة الأساسية	العالم
وضع الأسس الاتصالية والنسقية (نظرية الرسائل المزدوجة).	غريغوري باتيسون (Gregory Bateson)
مؤسس المدرسة الاستراتيجية رسمياً؛ ركّز على السلطة والتسلسل الهرمي.	جاي هالي (Jay Haley)
ألهم استخدام التوجيهات غير المباشرة والإيحاءات العلاجية.	ميلتون إريكسون (Milton Erickson)
طوّرت المنهج الاستراتيجي الإنساني. (Humanistic Strategic Approach) كلو مادانيس (Cloe Madanes)	

ثانياً: الأسس النظرية والفلسفية

1. المنظور النسقي

السلوك الإشكالي هو نتاج للتفاعل بين الأفراد داخل الأسرة، وليس صفة شخصية في أحدهم.

2. التفكير الدائري (Circular Thinking)

كل سلوك يُفسّر كاستجابة لسلوك آخر داخل دائرة مستمرة من التأثير المتبادل.

3. التواصل كجوهر النسق

العلاج يركّز على أنماط التواصل التي تخلق وتغذي المشكلة (كالرسائل المزدوجة أو السيطرة الخفية).

4. الهدف: التغيير العملي السريع

لا يسعى المعالج إلى وعي عميق أو تحليل نفسي، بل إلى كسر دورة المشكلة عبر استراتيجيات محددة.

5. المعالج كخبير وموجه

المعالج يتصرّف كـ مُخطّط استراتيجي يعرف متى وكيف يتدخل ليحدث التغيير بأقل مقاومة ممكنة.

ثالثاً: المفاهيم الأساسية في المدرسة الاستراتيجية

المفهوم	الشرح
المشكلة (Problem)	نتيجة تفاعلات متكررة تحافظ على نفسها داخل النسق.
التغذية الراجعة (Feedback)	محاولات الأسرة لحل المشكلة التي غالباً تزيد سوءاً.
الحل الخاطئ (Attempted Solution)	سلوك مكرّر يهدف لحل المشكلة لكنه في الواقع يُبقّيها مستمرة.
التسلسل التفاعلي (Interactional Sequence)	سلسلة الخطوات أو الاستجابات بين الأفراد التي تنتج الأعراض.
الاستراتيجية العلاجية (Therapeutic Strategy)	خطة مدروسة من قبل المعالج لتغيير التفاعل أو السلوك.
(Double Bind) الرسالة المزدوجة	تناقض في التواصل يسبب ارتباكاً دائماً (مثلاً: "كن حراً لكن افعل ما أقول").
التدخل المفارق (Paradoxical Intervention)	توجيه غريب أو معاكس للمنطق يدفع الأسرة إلى التغيير.

رابعاً: المبادئ الأساسية للعلاج الاستراتيجي

1. المعالج هو قائد العملية العلاجية.
يخطط مسبقاً لما سيقوله ويفعله؛ كل سؤال أو توجيه له هدف محدّد.
2. التركيز على الحاضر والتفاعل الحالي.
لا يهتم المعالج بالماضي أو الأسباب العميقة، بل بكيفية استمرار المشكلة الآن.
3. الافتراض أن كل سلوك له وظيفة.
أي أن الأعراض ليست عشوائية بل تخدم هدفاً ضمن النسق (مثل الحفاظ على التواصل بين الأفراد).
4. التغيير ممكن من خلال تعديل النمط، لا تغيير الأشخاص.
المعالج يغيّر شكل التفاعل وليس طبيعة الأفراد.

خامساً: مراحل العلاج الاستراتيجي

المرحلة 1: تحديد المشكلة بوضوح

- يطرح المعالج أسئلة دقيقة حول ما الذي يحدث، متى، ومن يفعل ماذا.
- يهدف إلى وصف النمط التفاعلي الحالي دون لوم أحد.

المرحلة 2: وضع فرضية واستراتيجية

- يصيغ المعالج فرضية تفسيرية حول كيفية بقاء المشكلة.
- يخطّط لتدخل محدّد (سلوك، تمرين، أو توجيه لفظي) لكسر النمط.

المرحلة 3: التدخل العلاجي

يقدّم المعالج توجيهاً محدداً للأسرة أو للفرد (يسمى "الوصية العلاجية" أو "Prescription") لتنفيذها بين الجلسات.

المرحلة 4: مراقبة النتائج

يلاحظ التغيرات في سلوك الأسرة ويعدّل الاستراتيجية حسب الاستجابة.

سادساً: التقنيات والاستراتيجيات العلاجية

1. التدخلات المفارقة (Paradoxical Interventions)

المعالج يطلب من الأسرة القيام بما يفعلونه عادةً أو المبالغة فيه.

2. الوصفات السلوكية (Prescriptions)

توجيهات عملية يقدّمها المعالج لتغيير التفاعل.

3. إعادة التوصيف (Reframing)

تغيير معنى السلوك داخل الأسرة لتقليل التوتر.

4. التسلسل الجديد (Re-sequencing)

تعديل ترتيب الأفعال في النسق التفاعلي.

5. تقنية "العرض الموجه" (Directed Performance)

المعالج يطلب من الأسرة تمثيل الموقف المثير للمشكلة أثناء الجلسة. ثم يوجههم لتغييره لحظة بلحظة.

6. استخدام السلطة العلاجية

المعالج يقدّم نفسه كقائد خبير، يستخدم الحزم والتوجيه الواضح. الهدف: تقليل الغموض وتنظيم النظام الأسري.

ثامناً: أهم المدارس الفرعية داخل الاتجاه الاستراتيجي

الخصائص	الرواد	المدرسة
تركّز على تحليل "الحلول الفاشلة" وتغييرها.	دون جاكسون، بول واتسلاويك	مدرسة (MRI (Mental Research Institute)
تركّز على السلطة والأدوار والتسلسل الهرمي داخل الأسرة.	Jay Haley	مدرسة جاي هالي (Haley's Strategic Therapy)
تمزج بين الاستراتيجيات والبعد الإنساني (القيم، الحب، المسؤولية).	Cloe Madanes	مدرسة مادانيس (Cloe Madanes)
فرع تطبيقي لاحق يركّز على الحلول وليس المشكلات.	Steve de Shazer, Insoo Kim Berg	العلاج القصير الموجّه نحو الحل (Solution-Focused Brief Therapy)

تاسعاً: تقييم المدرسة الاستراتيجية

نقاط القوة

- فعّالة في إحداث تغيير سريع.
- تركّز على الحلول العملية أكثر من التحليل المطوّل.
- مفيدة في الاضطرابات السلوكية عند الأطفال والمراهقين.
- مناسبة في البيئات التي تحتاج إلى نتائج ملموسة وسريعة (مؤسسات، مدارس، ...).

الانتقادات

- أحياناً سطحية لأنها لا تعالج الجذور العميقة للمشكلة.
- تعتمد كثيراً على كفاءة وخبرة المعالج في قراءة النسق.
- بعض تقنياتها (خاصة المفارقة) قد تُسيء الفهم إذا لم تُستخدم بحذر ثقافي.